



من رسائل الإمام

سبيل الظفر عبادة ثم قيادة.. بقلم: الإمام الشهيد / حسن البنا



الخميس 31 أكتوبر 2019 م 01:21

(هكذا يجب أن يكون الإخوان المسلمين)

رأيته شيئاً أشيب قد اجتاز مراحل العمر، وخطا إلى الآخرة، جلسـتـ إلـيـهـ فيـ صـفـحـ نـهـارـ،ـ فـيـ صـفـاءـ منـ الـوقـتـ،ـ وـغـفـوـةـ منـ الزـمـنـ،ـ وـرـقـةـ فـيـ الرـوـحـ،ـ وـقدـ أـشـرـقـ مـحـيـاهـ
يـلـمـعـ بـالـصـلـاحـ وـالـتـقـوـىـ وـصـلـةـ الـقـلـبـ بـالـلـهـ،ـ وـإـنـ كـانـ مـغـمـوـرـاـ فـيـ طـوـاـيـاـ الـمـجـتمـعـ،ـ خـالـمـ الـذـكـرـ بـيـنـ النـاسـ تـحـدـثـ إـلـيـهـ فـقـاـنـ:

ما اسم جمعيتكم؟ قلت له: إننا لسنا جمعية، ولكن إخوان في الله فقط نجتمع على عقيدة وفكرة ونحاول أن نحققها في أنفسنا، ثم نقنع بها الناس، وليسـ
فـكـرـتـنـاـ إـلـاـ أـنـ تـفـهـمـ الـإـسـلـامـ وـالـعـمـلـ بـهـ وـحملـ النـاسـ عـلـيـهـ!ـ قـالـ:ـ جـمـيـلـ.ـ وـمـنـ يـدـرـسـ لـكـمـ فـيـ دـارـكـمـ؟ـ قـلـتـ لـهـ:ـ قـدـ أـتـحدـثـ إـلـىـ الـإـخـوـانـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـأـجـانـ.ـ
فـسـكـتـ هـنـيـهـ ثـمـ رـفـعـ إـلـىـ بـصـرـهـ وـسـأـلـ وـهـلـ تـقـومـ الـلـيـلـ؟ـ قـلـتـ لـهـ:ـ وـمـاـذـاـ تـنـتـظـرـ فـيـ جـوـابـ عـلـىـ سـؤـالـكـ هـذـاـ؟ـ أـنـفـسـنـاـ بـيـدـ اللـهـ إـنـ شـاءـ بـعـثـنـاـ وـإـنـ شـاءـ أـمـسـكـهـاـ!
فـقـالـ:ـ صـدـقـ اللـهـ وـرـسـولـهـ وـكـانـ إـلـيـنـسـانـ أـكـثـرـ شـيـءـ جـدـلـاـ.

يـاـ أـخـيـ..ـ إـنـ تـرـبـيـةـ الـأـرـوـاحـ وـتـزـكـيـةـ الـنـفـوسـ وـقـيـادـةـ الـقـلـوبـ،ـ لـتـأـيـيـ بـهـذـهـ الـأـلـفـاظـ تـرـدـ،ـ وـلـاـ بـتـلـكـ الـقـوـاعـدـ تـرـدـ،ـ وـلـاـ بـالـنـظـرـيـاتـ تـلـقـيـ،ـ وـإـنـ هـذـهـ إـنـ أـفـادـتـ الـعـقـلـ
وـالـعـلـمـ فـإـنـهـ بـمـعـزـلـ عـنـ الشـعـورـ وـالـرـوحـانـيـةـ وـالـخـلـقـ،ـ وـإـنـ الـجـمـاعـاتـ فـيـ حـاجـةـ إـلـىـ أـرـوـاحـهـاـ وـأـخـلـاقـهـاـ أـوـلـاـ،ـ وـإـنـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ يـحـاـوـلـونـ الـصـلـاجـ الـخـلـقـيـ عـنـ طـرـيقـ
الـكـتـبـ وـحـدـهـاـ مـخـدـدـوـعـونـ خـادـعـونـ،ـ فـإـنـ كـانـ هـذـهـ طـرـيقـتـكـمـ فـمـاـ عـجـزـهـاـ عـنـ الـوصـولـ إـلـىـ مـاـ تـرـيدـونـ.

يـاـ أـخـيـ..ـ يـسـ هـذـاـ الصـلـاجـ الـنـفـسـانـيـ الـذـيـ تـنـشـدـوـنـ إـلـاـ طـرـيقـ وـاحـدـ؛ـ طـرـيقـ الـقـدـوـةـ الـحـسـنـةـ الـمـوـصـوـلـةـ بـالـلـهـ الـمـسـمـدـةـ مـنـ فـيـهـ وـفـضـلـهـ وـلـيـسـ لـهـذـهـ الـقـدـوـةـ إـلـاـ
مـكـبـدـةـ الـلـيـلـ،ـ وـمـصـابـةـ الـقـيـامـ،ـ وـمـصـابـةـ الـغـسـقـ،ـ وـأـنـتـ تـقـرـأـ الـقـرـآنـ وـتـسـمـعـ قـوـلـ اللـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـيـ:ـ «ـيـاـ أـيـهـاـ الـمـزـمـلـ *ـ قـمـ الـلـيـلـ إـلـاـ قـلـيـلـ *ـ نـصـفـهـ أـوـ انـقـضـهـ أـوـ
مـنـهـ قـلـيـلـ *ـ أـوـ زـدـ عـلـيـهـ وـرـتـلـ الـقـرـآنـ تـرـبـيـلـ *ـ إـنـ سـنـلـقـيـ عـلـيـكـ قـوـلـ قـلـيـلـ *ـ إـنـ تـأـشـتـةـ الـلـيـلـ هـيـ أـسـدـ وـطـنـاـ وـأـفـوـمـ قـلـيـلـ»ـ [ـ الـمـزـمـلـ:ـ 1ـ6ـ].ـ

يـاـ أـخـيـ..ـ فـاقـدـ الشـيـءـ لـيـعـطـيـهـ،ـ وـالـقـلـبـ الـمـنـقـطـعـ الـصـلـةـ بـالـلـهـ كـيـفـ يـسـيرـ بـالـخـلـقـ إـلـيـهـ،ـ وـالـتـاجـرـ الـذـيـ لـاـ يـمـلـكـ رـأـسـ الـمـالـ مـنـ أـيـنـ يـرـبـحـ،ـ وـالـمـعـلـمـ الـذـيـ لـاـ يـعـرـفـ
مـنـهـاـجـهـ كـيـفـ يـدـرـسـهـ لـسـواـهـ،ـ وـالـعـاجـزـ عـنـ قـيـادـةـ نـفـسـهـ كـيـفـ يـقـودـ غـيـرـهـ،ـ مـاـ أـشـدـ حـاجـتـكـ إـلـىـ هـذـاـ الصـنـفـ مـنـ الـجـهـادـ؟ـ إـنـ أـسـتـطـعـتـ أـنـ يـكـونـ هـذـاـ هـوـ كـلـ ماـ تـحـمـلـ
عـلـيـهـ مـنـ عـاـهـدـوـكـ عـلـىـ الـعـمـلـ فـهـوـ نـجـاحـ مـاـ بـعـدـهـ،ـ وـلـقـدـ كـانـ أـصـحـابـ مـحـمـدـ رـهـبـاـنـاـ بـالـلـيـلـ فـرـسـانـاـ بـالـنـهـارـ أـقـنـتـرـىـ إـحـدـاـهـاـ اـنـفـكـتـ عـنـ الـأـخـرـ؟ـ

يـاـ أـخـيـ..ـ اـجـهـدـ مـاـ اـسـتـطـعـتـ أـنـ تـغـرـفـ مـنـ ذـخـائـرـ الـلـيـلـ مـاـ تـوزـعـهـ عـلـىـ إـخـوانـكـ بـالـنـهـارـ،ـ ثـمـ اـسـتـأـدـنـ وـقـامـ يـتوـكـأـ عـلـىـ عـصـاهـ وـاـنـسـابـ فـيـ هـذـاـ المـزـدـحـمـ مـنـ النـاسـ،ـ وـمـاـ
زـلـتـ أـشـيـعـهـ بـقـلـبـ وـاعـ حـتـىـ غـابـ.

أـيـهـاـ إـلـيـخـوانـ..ـ

لـعـلـكـ تـسـتـغـرـبـوـنـ أـنـ أـنـقـلـ إـلـيـكـمـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ فـيـ صـحـيـفـتـكـمـ وـهـوـ يـكـادـ يـكـونـ خـالـطاـ،ـ وـأـنـتـمـ تـنـتـظـرـوـنـ مـنـيـ أـنـ أـنـدـحـثـ إـلـيـكـمـ فـيـ هـذـهـ الشـئـوـنـ الـتـيـ يـمـوجـ بـهـاـ الـعـالـمـ
وـتـوـاجـهـاـ الـأـمـمـ الـإـسـلـامـيـةـ جـمـيـعـاـ،ـ وـتـوـدـوـنـ أـنـ أـيـنـ لـكـمـ مـوـقـفـكـمـ مـنـهـاـ وـعـمـلـكـمـ فـيـهـاـ وـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ مـاـ يـهـمـ الـجـمـاعـاتـ وـيـأـخـذـ بـتـفـكـيرـ الـهـيـثـاتـ،ـ فـاسـمـعـوـنـ:

إـنـكـمـ تـبـتـغـوـنـ غـايـةـ جـلـيلـةـ عـظـيمـةـ،ـ وـعـلـيـكـمـ أـنـ تـدـرـكـوـاـ تـمـامـاـ أـنـكـمـ فـيـ صـفـ،ـ معـ غـايـتـكـمـ وـهـذـهـ الـدـنـيـاـ كـلـهاـ فـيـ صـفـ أـنـكـمـ تـرـيـدـوـنـ إـسـلـامـاـ مـهـمـيـنـاـ،ـ وـرـوحـانـيـةـ صـافـيـةـ
سـابـغـةـ،ـ وـخـلـقـاـ فـيـاضـاـ بـالـخـيـرـ،ـ وـقـلـوـيـاـ ذـفـاقـةـ بـالـرـحـمـةـ،ـ وـسـلـامـاـ يـظـلـ بـجـنـاحـيـهـ الـدـنـيـاـ جـمـيـعـاـ،ـ وـالـنـاسـ يـرـبـدـونـ مـادـةـ مـهـمـيـنـاـ،ـ وـمـنـعـةـ سـابـغـةـ وـفـيـرـةـ،ـ وـخـصـومـةـ دـائـمـةـ

يذهب ضحيتها الضعفاء ليستمتع الأقوياء، ولتظل القوة تأخذ بخناق الضعف وهم باقيان أبداً، فلا تعرف الإنسانية معنى للعدالة ولا تذوق طعماً للرحمة، ذلك ما يريده الناس وتريدون، فأنتم في ناحية العالم في ناحية، وإن الناس يستترون بالكذب، ويعاملون بالخداع والملق، ويغرون من مواجهة الحقائق، وأنتم لا تريدون هذا لأنكم تراقبون في نفوسكم وعملكم العليم الكبير، فالتباهي بينكم وبين الناس - إن صدقتم - تام من كل وجوهه. وأنتم قليل مستضعفون في الأرض، فقراء من المال، عزل من القوة، فليس لكم من سلاح إلا الصلة بالله والاستمداد منه والإيمان العميق به، فإذا سلمت لكم هذه الناحية فقد سلم لكم كل شيء: «إِن يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَاَغَلِبَ لَكُمْ» آلل عمران: 160] فاجتهدوا أن تكونوا كذلك ولا تقولوا كيف؟ فالطريقة واضحة، كونوا عباداً قبل أن تكونوا قواداً، فستصل بكم العبادة إلى أفضل قيادة، واحذروا أن تعكسوا القضية كما يفعل الناس، يطلبون القيادة قبل أن تسلم لهم ناحية العبادة فيخضعون أو يصلون فيضطربون، وأشربوا نفوسكم الحديث القدسى: "من آذى لي وليتا فقد آذته بالحرب.. وما تقرب إلى عبدي بمثل ما افترضت عليه، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ورجله التي يمشي بها وإن سألي لاعطينه وإن استعاذه لأنعيذن".

ففي قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَحْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَحْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمْكِنَنَّ لَهُمْ دِينُهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلُنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَ لَا يُشَرِّكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: 55].

المصدر:

جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (3)، السنة الخامسة، 25 ربيع الأول 1356هـ- 4 يونيو 1937م، ص(1، 6).

